



قرأت العدد الماضي من الآداب

بقلم

جيرا ابراهيم جيرا

حوادث ، ولا تكتشف امرأً جديداً . وهذه الشخصية الجديدة - شخصية مسعود - التي تظهر فجأة في أواخر القصة : أليست مقحمة رغم انف البطل والقارئ معاً ؟ من من القراء استطاع ان ينهي قراءة هذه القصة عن متعة ؟ يجب ان تتجاوز الشخصية والحادثة في القصة ، وإلا تصدعت وتساقت قطعاً لن يربط بينها حتى ما للدؤلف من حسن نية ورغبة في « التوجيه » .

وقصة الاستاذ انعام الجندي « ساربح الجائزة » تقاسي نفس ما تقاسيه القصة السابقة من حيث الخطابة . لست ادري ماذا يكون حكم الناقد على هذه القصة لولا موضوع « اللاجيء » . والمؤلف بدلاً من ان « يبني » قصته على هذا الموضوع ، نراه « يستغلّه » ، لما ينطوي عليه من عواطف يسهل استغلالها ، دون ان يركب على هذه العواطف شيئاً يجعل لها أثراً في النفس . ليس تعداد الفظائع إلا من قبيل التقرير الصحفي ، وكان الأجدى لو ركز المؤلف همه في احداها وتغلغل في طواياها ليخلق شخصية او حادثة معينة .

أما قصة السيدة الفت الادلبي « لبتتي وليته » ، فقد وفقت فيها المؤلفة الى حد بعيد ، إذ نجحت في الكشف عن زاوية من زوايا الماضي في حياة رجل وزوجته ، فصورت الشخصيتين عن طريق ما يقولان ويفكران دون ان تفرض عليها تعليقاتها فرضاً صريحاً ، واستطاعت ، رغم قصر القصة ، ان تبرز ما في الزوج من ضعف وما في الزوجة من قوة مع تمكك تمتع .

وافتحاحية العدد : « الابداع الذي نحتاج اليه » بقلم الاستاذ عبد الله عبد الدائم دفاع رائع عن ضرورة ترجمة « الكيانات » الفكرية كاملة ، عوضاً عن اجزائها ومسئولها كما هو شائع . ولكن اخشى ان الاستاذ يطنب في التفاصيل إذ يحاول اقناع القارئ بوجهة نظره ، فيأتي بمرر غريب للترجمات الكاملة مثلاً بقوله : إن عرض ما لكاتب غربي من اللآليء يجب ان يقرن بعرض نقائسه الكثيرة ايضاً « التي لا ينجو منها مفكر » ، فيعصنا ذلك عن « شعورنا بالانسحاق امام فكر الغرب » ! ثم انني لا اري كيف يتمكن من يترجم افكار مفكر غربي

كان اول ما قرأت في العدد الماضي القصص الثلاث التي فيه ، ثم قرأت المقالات المختلفة ، وبعد ذلك عرّجت على اخبار النشاط الثقافي في الغرب وفي العالم العربي - وهذا الباب مما تمتاز به « الآداب » فهو كحلقة الوصل بين اتجاهاتنا واتجاهات بقية أنحاء العالم - فوجدت ان بين هذه الأبواب أروقة متصلة ، وان التعليق على احدها يرتبط بالتعليق على الاخرى ، وان القضية الوحيدة التي تمها جميعاً هي قضية الابداع .

وقد كان مقال الدكتور نبيه فارس « العرب ودراسة تاريخهم » ، خير ما في العدد ، لا لتركيزه ومنطقته ووضوحه فحسب ، بل ايضاً لأن الدكتور فارس وضع يده فيه على الضعف الأساسي في الكتابة التاريخية عندنا ، فابرز الضعف الأساسي في الكتابة الابداعية كذلك ، حين قال إن أكثر كتبنا في التاريخ العربي لا يمكن ان تعتبر « مؤلفات علمية » في التاريخ ، بل الأجدر اعتبارها خطباً حماسية . والكثير من قصصنا من هذا الضرب الخطابي الذي تسمع فيه - رغم انفك - جعجة المؤلف ولا ترى شخصية بطله . « التفسير والتحليل والتعليل » ، هذا ما يراه الدكتور ضرورياً في دراسة التاريخ العربي ، وكذلك يتحتم درس التاريخ الاسلامي « على انه جزء غير منفصل من تاريخ البشرية . » ألا ينطبق ذلك على دراساتنا الأدبية ايضاً ؟ ولناخذ القصص الثلاث .

إن قصة الاستاذ رثيف الحوري « الغاية والطريق » ، تتعثر وتكبو من بدئها حتى النهاية لكثرة ما فيها من الوعظ (والخطابة ؟) الذي لا حاجة له ، لأن الحديث في هذا الشكل (وفي قصة قصيرة !) عن الاشتراكية والسكر والبطالة والبتبول الخ ، أتفه من ان يدخل في تركيب قصة نبغي منها الأصلة والتاسك - وقارئ أبة جريدة في أي مقهى محدثك بمثله . والقصة في الواقع تنتهي في وسطها عندما يطرد فائق من عمله وتتضح السخرية المفزعة في قول « مصلح البشرية » . أما البقية فإضافة مترهله ، ولا تنمو نمواً عضويّاً عما سبقها من

بكمالها مع فهمها فهماً عميقاً ، « من العلو فوقها والابداع ابداعاً يتجاوزها » . فكأنما يوحى البنا الاستاذ عبد الدائم بأن المترجم يغدو مبدعاً يفوق الكاتب الذي يترجمه ! إننا في حاجة الى المترجم الذي يحيط بدقائق الموضوع الذي ينقله الى لغتنا ، فيهيء للقارىء فهماً قد يتأتى منه للقارىء إبداع جديد ، ولعلنا حينئذ ننجو من هذه السطحية البغيضة في تلقي فكر الغرب .

لن اعلّق على مقال الاستاذ ماسينيون عن « مذهب الحلاج » مع متعني الشديدة في مطالعته ، لأنني لا اعرف عن الصوفية ما يؤهلني لذلك . غير انني من المعجبين بدقة الاستاذ الكبير وتأويلاته البعيدة الأعماق ، ولعلها أقرب ما تكون الى ما ينشده الدكتور فارس من دراسة التاريخ الاسلامي على انه جزء غير منفصل من تاريخ البشرية .

أما مقال الاستاذ علي الشعلان « بين التجريد والسريرية » ، فأشبهه بملاحظات لم تنتظم نهائياً لكثرة تقطعها ولكن الكاتب ولا ريب جمعها بوافر من الحماس والاستطلاع . وارجو ان يتوسع يوماً في مجته عن التجريد والسريرية ، كلاهما على حدة ، فيظهر خطورتها في تحول الذوق في القرن العشرين .

ومن أهم ما في العدد حديث الاسانذة المصريين عن « الزعامة الأدبية بين بيروت والقاهرة » في باب النشاط الثقافي . إن الفرق بين بيروت والقاهرة من حيث الانتاج الأدبي هو أن انتاج القاهرة يكاد يكون كله مصرياً ، ولكنه يقرأ في بقية الاقطار العربية ، في حين أن ما ينشر في بيروت يصوّر الفوران الفكري المعاصر لا في لبنان فحسب ، بل في العراق وسوريا وفلسطين والاردن ايضاً . ومن المؤسف ان ما يطبع في هذه البلاد لا يلقى اقبالاً في الديار انصرية ، لا لأنه دون الانتاج المصري جودة ، بل لأن الجمهور المصري تعود لونهاً من الاقليمية ، وأعرض عن الأدباء الذين لم تطبع اسماءهم دور النشر في القاهرة .

وفي اعتقادي ان الحركة الادبية التي تمثلها كتب بيروت ومجلاتها (وبيروت في ذلك أخت بغداد) انشط منها في مصر ، وإن لم تنح لها وسائل النشر المتوفرة في مصر . ان القاهرة مركز الدراسات العربية الكلاسيكية ، ولكن بيروت الآن منبع للتجديد في الاسلوب والفكر ، والمواهب التي تكشف عنها المجلات والكتب الصادرة في بيروت وبغداد ستغير وجه الأدب العربي في العشر السنوات القادمة . ولعل الدكتور طه حسين انتبه الى ذلك فقال قوله عن انتقال « الزعامة » من القاهرة الى بيروت . لقد فاق التقدم التكنيكي في الصحافة المصرية التقدم

الفكري هناك ، فجعل تقليد المجلات الامريكية امرأ يسيراً ، ولكنه غفل عن المواهب الجديدة التي لن يستطيع التقدم الآلي بدونها ان يكون ذا اثر خلاق في حياة الناس . وليس ادل على ذلك من عشرات الترجمات المبثورة الشوهاء لامهات كتب الغرب تصدرها دور النشر القاهرية . وتفسد بها ذوق القراء .

أما مقال الموسيقار الروسي آرام خاتشادوريان ، فهو مقال خطير ، وفيه عبرة للذين يخطون القواعد السياسية للابداع الفني . يقول خاتشادوريان : « حسبنا ! لا وصاية بعد ! وليتحمل كل ملحن مسؤولياته . » ويجدر بنا الان نسى مثل تلك العبارة .

ليس هناك ما يرهق المبدع اكثر من نظريات النقاد الذين تهتمهم السياسة اكثر من الفن ، ويتزلفون الى الجماهير بفرض ارادة دماغوية على المبدعين . ما اكثر من ينصحونك ويرشدونك ويمدونك بالمقالات التي تنص عليك كيف تبدع وماذا تلتزم واي جو تتوخى واي مبدأ تمتنع - الى ان تغدو قضية الابداع قضية حزبية مؤقتة الأهداف ، عوضاً عن قضية فكرية هي قضية النفس البشرية . وما اقل من يبدعون ورائدهم الاصاله والرؤية والاسلوب بقي الحديث عن الشعر في العدد الماضي . كنت اود ان

اعالج كل قصيدة على حدة ، ولكنني اكنفي بالاشارة الى القصائد التي وجدت فيها تلك المتعة التي يستشعرها من يعثر على لقياء جديدة . فقصيدة الآنسة نازك الملائكة « الشخص الثاني » لها طرفتها في موضوعها السيكلولوجي . ولكن الآنسة تفسد القصيدة أحياناً بالمجردات ، كما في البيت الاول (وفي الشعر : المجرّد ميت والمحسوس حي) ، او بتراكيب وفكر نثرية ، كما في قولها : « وسيره قني في خبث مختبئاً حتى خلف الكلمات » (غفر الله لها هذه الحاءات المتعاقبة !) ولكن البيتين الاخيرين جميلان جداً .

وقصيدة « العودة » للآنسة فدوى طوقان ، افضل بكثير من جل قصائدها الاخرى ، ويروق لي فيها فيض ابياتها الواحد في ما يليه . ولكنها تسف أحياناً في مثل هذا البيت : « ونسبت في سكر اللقاء عذاب عام » . ما أشيع السكر صورةً للفرح العميق في الشعر المعاصر ! أما ملّ الشعراء هذه « الاكذوبة » ؟ وقصيدتا « وحدي مع المنفى » للاستاذ صالح جواد الطغمة و « هجم التتار » للاستاذ صلاح الدين عبد الصبور ، كلتاها « وفتت في خلق الشعور بالمأساة ، بوفرة التفاصيل المحسوسة التي توحى بأكثر مما تنصّ عليه .

جبرا ابراهيم جبرا

بغداد